نقد فويرباخ للإنسان المغرّب عند هيغل

د. منذر شباني [*]
عبد الرحمن عبد الإبراهيم [**]

(تاريخ الإيداع 8 / 3 / 2021. قبل للنشر في 19 / 4 / 2021)

□ ملخّص □

يناقش البحث أشكال تغريب الإنسان في الفلسفة المثالية، فيبدأ بتناول وضع الإنسان داخل ما يطلق عليه التعارض الهيغلي أو علاقات التعارض التي من خلالها يقف الإنسان موقفاً متعارضاً مع إنسانيته، إذ لا يمكن للإنسان أن يحقق وحدته وانسجامه داخل نظام المطلق الذي يعتبر الإنسان ملحقاً بالوجود في الوقت نفسه الذي يحاول فيه على التأكيد على أهمية الطبيعة الإنسانية وبعد ذلك ناقش البحث مفهوم الكينونة أي كينونة الإنسان داخل فلسفة المطلق، هذه الكينونة التي لا تحقق استقلالها عن الكينونة المطلقة وكل ذلك كان قد وجه الوجود الإنساني نحو الوقوع تحت تأثير السلب والتخارج حيث إنسانية الإنسان عاجزة عن تأكيد ذاتها، وهنا يماثل فويرباخ بين الفلسفة المثالية، فلسفة المطلق وبين اللاهوت.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة المثالية، التعارض الهيغلي، الإنسان، اللاهوت.

[*] **أستاذ، قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.**
[**] **طالب دكتوراه ـ قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.**

Feuerbach's Criticism of Hegel's Defamiliarized Man

Dr. Monzer Shbani*
Abd alrahman abd alabrahaim**

(Received 8 / 3 / 2021. Accepted 19 / 4 / 2021)

□ ABSTRACT □

The Research discusses the types of defamiliarizing Man in Idealistic philosophy. It starts with tackling human condition within the model that is called Hegelian negation or 'negation relations' in which Man takes a stand against his/her own humanity. For, Man cannot actually fulfill unity and harmony within the system of the Absolute. In that system, Man is considered an attachment to existence, yet human nature is simultaneously emphasized. After that, the research discusses the concept of Being, viz. Man's Being within the philosophy of the Absolute, and this Being does not achieve its independence from that of the Absolute. All of this has directed human existence towards being under the influence of bereavement and externalization as Man's humanism is incapable of self-assertion. Feuerbach, at this particular point, equates Idealistic philosophy with the philosophy of the Absolute and theology.

Keywords: Idealistic Philosophy, Hegelian Negation, Man, Theology.

***Associate professor, Department of philosophy in the Faculty of Arts and Humane Science – Tishreen University, Lattakia, Syria .**

****Postgraduate Student, Department of philosophy in the Faculty of Arts and Humane Science Tishreen University, Lattakia, Syria.**

مقدمة:

لقد تشكل تاريخ الفلسفة عبر العمل الفلسفي النقدي الذي يهدف إلى أمرين اثنين: الأول هو تحقيق التواصل والتفاصل في الوقت نفسه بين الأفكار الفلسفية التي يطرحها فيلسوف في عصر ما، ضمن شروط ومعطيات هذا العصر.

أما الأمر الثاني فهو تحقيق التقدم الفكري داخل حقل الفلسفة خصوصاً وأن التفاعل بين الأفكار الفلسفية يقودإلى تحقيق مثل هذا التقدم، وبناءً على ذلك فإن البحث الذي بين أيدينا كان قد كشف عن هذين الأمرين، إذ إن نقد فويرباخ للفلسفة الهيلغية يصب في عملية التواصل والتفاصل، فنحن نجد أن هذا النقد كان قد وسع بعض المفاهيم الهيلغية خصوصاً تلك المتعلقة بمفهوم المطلق والمثالية والتجريد، حيث بدا واضحاً لنا موقف فويرباخ من هذه المفاهيم وفي الوقت نفسه فإن فويرباخ من خلال عملية النقد تلك كان قد بدأ يؤسس لهذه المفاهيم على أسس جديدة ونعني بذلك الفهم المادي للعالم وللطبيعة وللإنسان، وكان لابد إذاً أن يتخلص فويرباخ من الطابع المثالي لهذه المفاهيم، والمثالي هنا بمعنى الاتجاه الذي يسعى إلى فصل المفاهيم عن لواحقها الحسية المادية ومن ضمنها مفهوم الإنسان، هذا الإنسان الذي غربته الفلسفة المثالية عن نفسه عندما جعلت الذات تخرج من ذاتها، وعندما تم الحاق الإنسان بالنظام الفلسفي القائم على الإطلاقية والتجريد، فبدا الحديث عن الإنسان وكأنه حديث في المجردات وفي الكليات إلى درجة أن هذه الكليات قد حلت محل الجزيئات ومحل ما هو حسي وعياني ومباشر ولأن الأمر كذلك جاء النقد الفويرباخي بوصفه إماطة اللثام عن العقبات التي تقف أمام تقديم فهم حقيقي للإنسان بحيث يتوجب على الفلسفة كما يرى فويرباخ أن تأخذ على عاتقها تقديم الإنسان في طبيعته الحسية والمادية، إنه الإنسان من لحم ودم ومشاعر ورغبات، وليس الإنسان بالمعنى الكلي الذي لا يوجد سوى في التفكير أو في الفكر على رأي المثالية الهيغلية، ولأن فويرباخ رأى أنه لابد من فعل ذلك فقد كان عليه تفحص الإنسان في طبيعته المغربة لدى هيغل وأن يتطرق إلى موقع الإنسان داخل التعارض المثالي الهيغلي وأن ينطلق من خلال كشفه لهذه الوضعية المغربة والمتعارضة للإنسان للكشف عن العلاقة بين اللاهوت والمطلق الهيغلي لنجد أن فويرباخ يكشف عن أزمة في فهم الإنسان داخل المثالية تنتهي إلى فهم لاهوتي طالما أن اللاهوت يقوم أيضاً على علاقات السلب المطلقة ويسجن الإنسان ضمن هذه العلاقات، وقد تطرق هذا البحث إلى مجمل هذه المشكلات على نحو كشف فيه عن التباين بين موقفي فويرباخ وهيغل تجاه الإنسان، وكان لابد والحال كذلك أن نقف عند مفاهيم التغريب والتعارض والسلب وماذا يمكن أن نفهم منها عندما نقارن بين المثالية والمادية، أي بين هيغل وفويرباخ وقد كشف البحث عن مشكلات عدة تتعلق في طبيعة النهج المثالي والصعوبات التي يولدها هذا النهج طالما أن المعرفة المثالية تطمح إلى أكثر من فهم الأشياء كما هي بل نجد أيضاً أن المثالية قد عانت من مطاردة المطلق في محاولة لتطبيقه داخل كل مفاصل المفاهيم والموجودات.

أهمية البحث وأهدافه:

أهمية البحث:

ربما تمتع هذا البحث بأهمية معرفية طالما أنه يقارب مذهبين كبيرين في تاريخ الفلسفة هما المثالية والمادية، وهذه الأهمية تنبع من كونه " أي البحث " يناقش مفاهيم مشتركة بين كل من المذهبين المذكورين، وبمعنى ما فإن البحث

يهتم بطبيعة النقد الموجه لهذه المفاهيم من قبل فيلسوف بعينه هو فويرباخ. هذا الفيلسوف المادي الذي وقف بشدة ضد المفاهيم الهيغلية الممثلة للمذهب المثالي، ومن هنا فإن لهذا البحث أهمية نقدية تجعل منه بحثاً نقدياً بامتياز.

أهداف البحث:

لقد هدف هذا البحث إلى إظهار النقد الذي أبداه فويرباخ حول موقع الإنسان في المثالية بشكل عام وفي مثالية هيغل على نحو خاص ومن ضمن ذلك نقد تناول المثالية الهيغلية لمفهوم الإنسان الذي هو تناول تغريبي يغرب الإنسان عن نفسه ضمن علاقات التعارض الهيغلية .

منهجية البحث:

اعتمدنا في هذا البحث على النهج النقدي التاريخي طالما أننا نخوض في نقاش يتناول فلاسفة من اتجاهين كبيرين هما الاتجاه المثالي والاتجاه المادي، بالإضافة إلى ذلك حاولنا أن نلجأ إلى المنهج الوصفي عندما اقتضى ذلك من أجل توضيح اختلاف المفاهيم بين كل من الماديين والمثاليين.

النتائج والمناقشة:

أولاً: الإنسان في علاقات التعارض الهيغلي:

تتمثل مسألة النقد التي تحدث في تاريخ الفلسفة بين الأفكار والرؤى والمذاهب في الكشف عن التباينات التي تلتبس فيها علاقات التاريخ، وعلاقات الأفكار من بين هذه الانتقادات ما يمكن أن نتلمسه في مفهوم الاغتراب لدى هيغل وكيف ينظر إليه فويرباخ ، ذلك أن هذا الاغتراب الذي يتحدث عنه هيغل هو في الحقيقة اغتراب للذات وانفصال في داخلها من هنا ينشأ مفهوم التعارض الذي تقع فيه هذه الذات التي عليها أن تتخلى عن خصوصيتها في الوقت الذي تبحث فيه عن اتحادها، وبالنسبة إلى فويرباخ فإننا لا يمكن أن نفهم موقفه الخاص بنقد هذا التعارض إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار الموقف العام لفلسفة فويرباخ من نقد هيغل، حيث قام فويرباخ بأول لحظة نقدية لكل الفلسفة المثالية وخصوصاً المثالية الهيغلية إذ إن فويرباخ كان قد لاحظ سيطرة الفكر الهيغلي على الفلسفة الألمانية لحقبة طويلة" حيث كان على المرء إما أن يكون هيغلياً، أو بربرياً أو أحمق وتجريبياً متخلفاً ومحتقراً"[1].

من هنا نكتشف إن موقف فويرباخ من الهيغلية هو موقف من التفكير المطلق لهيغل الذي يعتبره فويرباخ مجرد تفكيراً في اللا شيء بل أنه يذهب إلى القول بأنه تطابق مع اللا تفكير"[2]، وهذا ما ينعكس على موقف فويرباخ من موقع الذات داخل هذه الفلسفة المثالية المطلقة التي وهي تقوم بإخراج الذات من ذاتها من أجل الوصول إلى الفكر المطلق كانت قد حولت كل شيء واقعي إلى ما ورائي وهو ما عبّر عنه فويرباخ بقوله:" لكي يبلغ الكائن، الفكر المطلق لا يتخلص من ذاته ولا يخرج من ذاته، الكائن يبقى ما وراء، ما ـ بعد، أجل الفلسفة المطلقة حولت ال ما، وراء اللاهوتي إلى هناـ تحت، ولكنها بالمقابل حولت ال هنا تحت، دنيا الواقعي، إلى ما ـ وراء"[3].

[1] **- ديب، حنا. هيغل وفويرباخ.دار الأمواج، بيروت، 1994، ص 22-23.**

[2] **- المرجع نفسه، ص23.**

[3] **- فويرباخ، لودفيغ. أطروحات مؤقتة من أجل إصلاح الفلسفة. ت: الياس مرقص، دار الحقيقة، بيروت، ط1، 1975، 275.**

ولأن الأمر كذلك فإن البحث في الإنسان المغرب عند هيغل استوجب من فويرباخ أن يضع يده على فكرة التخلي أو الانسلاب طالما أن الذات تتعرض للانفصال فتضيع وحدتها ضمن التعارض الذي يرتكز عليه هذا الاغتراب"[1]، ولكن ما هي طبيعة هذا التعارض الذي يبدو وكأنه يتجاوز الحالة الطبيعية للإنسان ليدخله في طبيعة جديدة ضمن النظام المطلق للتفكير الهيغلي، وعلى ما يبدو أن هذا التعارض من وجهة نظر فويرباخ هو تعارض بين الواقعي الحسي والفكر المجرد، وبالفعل فإن قلق فويرباخ اتجاه هذه الفكرة هو قلق حول الأنسنة أي فعل اسقاط ما هو إنساني على ما هو مطلق وبمعنى آخر إنه قلق فويرباخ حول ابتعاد الإنسان عن صورته الجوهرية، أي ابتعاده عن ذاته فالتعبير النهائي الفويرباخي عن هذه الفكرة يصوغه فويرباخ بقوله:" فالإنسان قد خلق الله على صورته الجوهرية هو نفسه ويبدو الاثنان متباعدين عن التماثل لأن هناك تنافراً بين طبيعة الإنسان الفعلية وطبيعته الجوهرية أو المثالية"[2].

هاهنا لابد من الإشارة إلى أن هذا التعارض سوف يأخذ مداه الأقصى في فلسفة ماركس الذي يوافق فويرباخ في التأكيد على الطبيعة السلبية للإنسان المغرب عند هيغل، ذلك أن ماركس كان قد أشار إلى مفهوم التعارض داخل الذات وداخل الوعي عندما يقول عن هذا الإنسان المغرب بأنه يعيش" التعارض بين ذاته ولذاته، بين الوعي ووعي الذات، بين الموضوع والذات أو بعبارة أخرى بين التفكير المجرد وبين الواقع الحسي أو الحسي الواقعي"[3]. ضمن ها السياق، أي ضمن البحث في الطبيعة المغربة للإنسان يضيف فويرباخ مفهوماً جديداً وهو هنا الخوف، فالخوف هنا هو الذي دفع بالإنسان إلى محاولة اضفاء الصفات الإنسانية على الإله، أي على الماورائي ليدخل الإنسان والحالة هذه في حالة النفي، إنه نفي الحقيقة الجوهرية للإنسان وبالتالي العيش ضمن علاقات التخلي، أي التخلي عن الذات الإنسانية والبحث عنها في ذات مطلقة، كالذات الإلهية أو غيرها من الذوات المطلقة، فعندما يتخلى الإنسان عن صفاته الجوهرية فإنه بذلك ينفي الطبيعة الجوهرية لوجوده كإنسان"[4].

وطالما أن الأمر كذلك فإن التعارض يظهر هنا على نحو عميق بين مسألتين حاسمتين من وجهة نظر فويرباخ، ذلك أن الإنسان الهيغلي المغرب يطلب الذل كي يصل إلى التسامي، إذ كيف يمكن لهذا الإنسان الذليل ضمن سياق الفلسفة الهيغلية أن يحقق التسامي إلا إذا كان يعتقد أنه بذلك يمكن أن يحقق خلوداً ما، وبالفعل فإن هذا البحث والتعطش للخلود قد دفع بالإنسان الهيغلي أن يعيش هذا التعارض في أقصاه وتلك لحظة يكتشفها فويرباخ، إذ يقول إن:" الفرد يقذف بنفسه بعيداً فقط في مدار أن يملك الله في طريق العودة، هو أذل نفسه أمام الله، وذلك فقط كي يتأثر به، وفقدانه نفسه هي سعادته وإذلاله لنفسه هو تساميه"[5]. بهذا يبدو لنا أن فويرباخ يضع يده على الطابع الديني للاغتراب عند هيغل، فالإنسان المغرب ينتج قوى سلب، تسلبه وحدته الذاتية وبالتالي فإنه يتخلى عن القيم الحقيقية للحياة وينتج قيماً ما ورائية، وبهذا الشكل أيضاً يقود الاغتراب الإنسان في مجاهل غابات التفكير ومنعرجات اليأس في محاولته من أجل البحث عن ذاته المسلوبة، فالقيم التي يسبغها الإنسان على الإله ما هي قيم إنسانية كان قد تخلى عنها ضمن اغتراب هيغل الذي أسس بشكل واضح للتعارض كما أسس لهذه العلاقة غير المفهومة بين الخوف والسعادة ، وبين الذل والتسامي ويبدو لنا أن فويرباخ في نقده للطبيعة المغربة لإنسان هيغل، فقد أدى هذا الاغتراب إلى نشر السموم في الوعي الإنساني، حيث الوعي هنا يتشظى في حالة مأساوية إذ يبحث الإنسان داخل وعيه عن إدراك كيان منفصل عنه

[1] - شاخت، ريتشارد. الاغتراب. ت: كامل يوسف حسين، د.م. دار شرقيات، ط2، ص75-76.

[2] - المرجع نفسه، ص94

[3] -ماركس، كارل. مخطوطات عام 1844 الاقتصادية والفلسفية. ت: محمد مستجير. القاهرة، دار الثقافة الجديدة، 1974، ص86.

[4] - شاخت، ريتشارد. الاغتراب، مرجع مذكور، ص97.

[5] - Feuerbach,Ludwig. Thoughts on death and immortality, university of California press, p.17-18.

من أجل أن يعي كيانه الخاص وهو ما يفعله الدين كعنصر مغرب للطبيعة الإنسانية ذلك أن جوهر الإنسان في الدين يصبح جوهراً غريباً ومنفصلاً عن الإنسان نفسه، وبمعنى آخر فإن الدين" يقذف بهذا الجوهر في كائن إلهي خارج عن ذاته وهو محض إنتاج من ضميره، إنه يلبس الوثن الذي صنع فضائل ومكنات هي جوهر البشرية بالذات"[1].

ثانياً: كينونة الإنسان أو الإنسان الأنطولوجي:

كيف يمكن تجاوز المفاهيم الهيغلية حول الإنسان، من الواضح أن هذا التجاوز غير ممكن إلا إذا تم التخلص من المطلق الهيغلي نفسه، إذ إن فويرباخ لم يعد يطرح وضع الإنسان في العالم من خلال المفاهيم الكلية ذلك أن البحث في الكلي لن يقود إلى تعقل وجود الإنسان كظاهرة طبيعية كما أن البحث في الإنسان يجب أن يتغير، فبدلاً من الانطلاق من الطبيعة إلى الإنسان كما فعل هيغل علينا أن نغير اتجاه البحث ليصبح من الإنسان إلى الطبيعة، ولتحقيق ذلك لابد من البحث في الإنسان على أنه الوجود الأسمى، أي أن الطبيعة تحقق درجة من السمو في الإنسان نفسه، وهنا يختلف فويرباخ مه هيغل لأنه عندما يبحث في الإنسان كأساس للوجود فإنه بذلك يتخلص من النزعة الكلية المطلقة المجردة ويبدأ في البحث بما هو حسي وبما هو ناتج عن المشاعر، فالإنسان يحس ويشعر ويرغب ومن هنا يجب الانطلاق في البحث، إذ إن الإنسان برأي فويرباخ هو" أسمى وجود للطبيعة ، ويجب أن اعتبر وجود الإنسان على أنه أساساً وأتقدم فيه، إذا كنت أرغب لأن أفهم أصل تطور الطبيعة"[2].

وعندما يركز فويرباخ على الحس والشعور فلأنه يرى أن الشعور دائماً هو شعور محدد وليس شعوراً مطلقاً وكلياً، فالشعور هنا هو الذي يحدد أنطولوجيا الإنسان ووجوده العيني المحسوس، ذلك أن الشعور كما يرى فويرباخ وكل شعور هو" في الوقت ذاته شعور بذاتي، إن كينونتي الكلية في تحديد أوحد معين. لكني أشعر فقط لأن كينونتي بمجملها مركزة، إذ جاز القول، مدفوعة ومضغوطة في نقطة زمن مفردة، لأن كينونتي بمجملها موحدة في أنا واحدة وحاضرة في هذا التركيز"[3].

وموقف فويرباخ هذا من دور الشعور هو في الحقيقة موقف ضد عملية التغريب التي يحدثها كل من الدين والفكر المطلق الذي جاء به هيغل ذلك أن المشكلة الأساسية في هذا المجال هي تلك المتعلقة بهذه العلاقة التي يناقشها هيغل بين ما هو فكري وما هو كينوني حيث نكتشف أن هيغل يربط الكينونة بالعدم وبالتالي فإن الوجود الإنساني هو وجود عدمي أيضاً وبالتالي نجد أن هيغل يربط الكائن الموجود بالعدم وهو ما يكافح فويرباخ لتغييره، فالمقولة التي يركز عليها هيغل هي مقولة وحدة الكائن والعدم" الكائن الخالص والعدم الخالص هما إذا شيء واحد، الذي هو الحقيقية ليس الكائن ولا العدم بل واقع أن الكائن ليس يمضي بل قد مضى في العدم والعدم هو الكائن"[4]. إن هذه الفكرة الهيغلية تعود لتؤكد من جديد على اغتراب الفرد طالما أن وجوده مرتبطاً بالعدمية، ومن هذا المنطلق يتحول الإنسان عند هيغل إلى شيء فعندما لا يعود الإنسان موجوداً وجوداً حقيقياً عندها سنجد أن الاستلاب والتشيؤ يسيطران على وجوده، فالإنسان هنا لا معنى له أمام المطلق"[5].

[1] - توشار، جان. تاريخ الفكر السياسي. ت: علي مقلد، الدار العالمية، بيروت، 1987، ص 463.

[2] - فويرباخ، لودفيغ. ماهية الدين وقضايا أولية في إصلاح الفلسفة ونصوص أخرى. ت: أحمد عبد الحليم عطية. القاهرة، دار الثقافة، ص402.

[3] - فويرباخ، لودفيغ. أفكار حول الموت والأزلية. ت: نبيل فياض. دار الرافدين، بيروت، 2017، ص105.

[4]- هيغل، جورج. مختارات، ت: الياس مرقص، ج1، د.م، المكتبة الفلسفية، ص102.

[5] - بونت، بيار وابراز، ميشال وأخرون، معجم الانتولوجيا والانثربولوجيا،ت: مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط1، 2006، ص490.

وأكثر من ذلك فإن الكلي الهيغلي كان قد اهتم بالإدراك الإنساني أكثر مما اهتم بالشعور الإنساني، وهذا الكلي هو الذي أدى إلى موت الإنسان ولكي يشرح هيغل الكلي فأنه يقول" إن الكلي هو الموضوع، ويجري التفكير فيه على أنه خالص وبسيط ولكن ليس بعد التفكير الذي يتطور ويتحدد في ذاته، فإن كل الفروق لا تزال غائبة ولا توجد إلا بالقوة أو الامكان"[1]. وبعد هذه المقولة الهيغلية ألا يبدو أن كفاح فويرباخ من أجل إعادة الإنسان إلى موقعه الطبيعي هو كفاح ضد ما يمكن أن يسميه ديماغوجيا هيغل والذي يمكن أن يكون قد وظف كل شيء بما فيه الوجود الإنساني من أجل المطلق الذي قد يتعين بمؤسسة ما، كالدولة مثلاً وكيف يمكن لكائن أن يفكر فقط وأن ينفصل عن عالمه الحسي والواقعي، بهذا الشأن يبدو فويرباخ صاحب نظرة احتجاجية عندما يقول:" غن كائناً لا يفعل سوى أن يفكر ولا يفكر إلا في التجريد لا يملك إطلاقاً أي تمثيل عن الكائن، عن الوجود وعن الواقع، الكائن حد الفكر"[2]. وعندما يبحث فويرباخ عن الكائن الهيغلي هذا الذي لا يفكر سوى بالمطلق، فإنه لا يجده على الإطلاق، إذ إن الإنسان الواقعي، إنسان المشاعر والحواس هو فقط إنسان فويرباخ فلا وجود لكائنات مجردة، وبالتالي لا وجود للإنسان المجرد، وبالنسبة إلى فويرباخ فالإنسان الموجود هو الإنسان الذي ينتج القيم والذي يعطي قيماً للأشياء وللعالم، إن أنطولوجيا الإنسان سابقة على كل أنطولوجيا ومضادة لكل ما هو كلي ومجرد وهذا الأمر نجده عندما يرى فويرباخ أن كل قيمة هي قيمة الوعي الإنساني وليست قيمة الشيء المجرد على هذا النحو يصبح الإنسان أساساً لهذا الوجود ومنطلقاً للبحث في الطبيعة وما وراء الطبيعة، فحول علاقة الإنسان بالقيمة يقول فويرباخ:" إن القيمة التي أعزوها بوعي لمصدر الحياة لا تعكس إلا القيمة التي أعزوها عن وعي للحياة والنفسي، وكلما زادت قيمة الحياة زادت قيمة أولئك الذين يعطون الحياة، الآلهة"[3]. فلا قيمة بدون وجود الإنسان وكل قيمة هي في النهاية قيمة إنسانية ولأن الأمر كذلك فإن فويرباخ يقر بالإنسان كأساس للأنطولوجيا والدين كما سنرى.

ثالثاً: الإنسان في السلب المطلق واللاهوتي:

يكشف فويرباخ في سياق بحثه داخل النسق الهيغلي بشكل عام، مشكلة تصور الإنسان الذي يبدو وكأنه مجرد وجود سلبي خارج عن الفعالية، ومن هذا المنطلق فإن الإنسان يظهر بمثابته روحاً لا جسداً وهنا أيضاً تظهر مسألة التخلي، حيث لابد من التخلي عن الجانب الحسي الجسدي النسبي والواقعي لصالح ما هو روحي فقط، وعلى هذا الأساس يبدو الإنسان المثالي ونعني هنا الإنسان داخل المثالية فاقداً لبعده الإنساني الصحيح كما هو الأمر في الفهم الفويرباخي والذي تحدثنا عنه، أي الإنسان الواقعي والذي تمت الاستعاضة عنه بإنسان خارج أبعاد المادة، وخارج أبعاد الواقع، ويكتشف فويرباخ أيضاً أن إنسان هيغل لا يختلف عن الإنسان الذي يتحدث عنه اللاهوت نفسه، وهذه المقاربة بين المطلق واللاهوتي من قبل فويرباخ هي في الحقيقة خلاصة موقف فويرباخ نفسه من كلا الاتجاهين المثالي الهيغلي واللاهوتي، إذ يعبر فويرباخ عن ذلك بقوله:" إن الروح المطلق عند هيغل ليس إلا روحاً متناهياً، فصلت عن ذاتها تماماً شأنها شأن الوجود اللامتناهي للاهوت، هو ليس شيئاً عدا الوجود المتناهي المجرد"[4] .

---

[1] - هيغل، فردريك. محاضرات في فلسفة الدين مدخل إلى فلسفة الدين. الأعمال الكاملة. ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الكلمة، القاهرة، ص227.

[2] - فويرباخ، لودفيغ. مبادئ فلسفة المستقبل. ت: الياس مرقص. دار الحقيقة، بيروت، ط1، 1975، ص102.

[3] العتابي، حيدر. فويرباخ ورؤية الدين الذاتي. صحيفة المثقف، مؤسسة المثقف العربي . www.almothaqaf.com/index.php/ idea 2015/page 4.htm/

[4] - فويرباخ، لودفيغ. أطروحات مؤقتة من أجل إصلاح الفلسفة. ت: الياس مرقص، ص194.

وقضية المتناهي واللامتناهي في فكر فويرباخ تشغل حيزاً هاماً في فلسفته، فهو يرفض اللاتناهي وهذا الرفض هو رفض أنطولوجي بالدرجة الأولى بمعنى انه رفض مبني على اللاتناهي نفسه بحيث يكون هذا اللاتناهي محدوداً بنفسه، أي باللاتناهي نفسه وفويرباخ يوضح ذلك عندما يقول:" كل شيء يتواجد ليس بلا نهاية وحد، حتى بما في ذلك اللامتناهي. فاللامتناهي يتميز عن المتناهي فقط لأن حده ليس كينونة أخرى خارجه، فاللامتناهي يمتلك ذاته كحد له"[1].

فإن لم يكن هناك لا تناهي كما تقدمه الفلسفة المثالية الهيغلية، فإن فويرباخ بهذا الشكل أيضاً ينظر إلى اللاهوت على غرار الفلسفة المثالية المطلقة، إذ نجد أن مشكلة اللاتناهي في الفلسفة قد جاءت من حقول اللاهوت نفسها، إذ إن الروح المطلق الهيغلي هو شكل من اللاتناهي اللاهوتي ويدلل على ذلك بقوله :" إن الروح المطلق عند هيغل ليس إلا روحاً متناهياً، فصلت عن ذاتها تماماً شأنها شأن الوجود اللا متناهي للاهوت هو ليس شيئاً عدا الوجود المتناهي المجرد"[2]، وفي هذه المسألة يلتقي كل من المذهب الفلسفي الهيغلي الإطلاقي أي الذي يبحث في المطلق مع اللاهوت، أي أنهما يلتقيان في كونهما سلب مطلق ولابد والحال كذلك من البحث في موقع الإنسان داخل هذا السلب. إذ نجد أن موضوع الإنسان داخل الفكر المطلق يتشابه مع مفهومه داخل اللاهوت، وفي هذه المسألة يكافح فويرباخ من أجل توضيح تأثير السلب على موقع الإنسان في هذا العالم ويركز في هذا المقام على وعي الإنسان نفسه ذلك أن المشكلة تتعلق بدور هذا الوعي في تحديد الوجود الإنساني وطبيعته ، إذ يشابه فويرباخ بين حقيقة الإنسان في الفلسفة المثالية المطلقة وبين حقيقته في اللاهوت، إذ يقول:" في اللاهوت، الإنسان هو حقيقة، واقع الله، كذلك في الفلسفة النظرانية، المحدود هو حقيقة اللامحدود"[3].

وتتضح قضية السلب وأثرها على الإنسان عندما يناقش فويرباخ مفهوم الإله داخل اللاهوت نفسه، ففي العلاقة بين الإله والإنسان يمكن اكتشاف تأثير السلب على الإنسان، إذ كيف يتم إخرج الإنسان من ذاته ومن كينونته وهذا ما يفعله الإله داخل النسق اللاهوتي، والشرح الذي يقدمه فويرباخ حول هذه القضية يوضح انسلاخ الإنسان من إنسانيته عندما يقول فويرباخ" الإله بالنسبة للمعتقد هو فقط كينونة بالنسبة للإنسان، ومن ثم فهو كينونة تعطي الإنسان للإنسان وتعود بالإنسان إلى ذاته، بالنسبة لمنجز الأعمال، الإله هو كينونة لأجل ذاته، كينونة غير ما هو البشري، ومن ثم فهي كينونة تفصل الإنسان عن ذاته وتأخذ الإنسان من الإنسان"[4]، وعندما يبحث فويرباخ في إمكانية حل مشكلة السلب وأثرها على الإنسان أنطولوجيا ومعرفياً فإنه ينتهي إلى البحث في الإنسان الحسي العاطفي وليس فقط الإنسان المفكر ولا يجد صفة تميز الإنسان عن بقية الكائنات سوى صفة الحب التي تجعل الإنسان قادرا على تجاوز السلب المطلق واللاهوتي، فمقابل سيطرة هذا السلب على الحياة الإنسانية حيث يتم نزع الإنسان من إنسانيته وكل ذلك بسبب ما يطلق عليه فويرباخ دين الحب، ويشرحه فويرباخ بالقول:" دين الحب، هو ذلك الذي يمكن فيه للإنسان أن يشبع روحه من خلال حبه للإنسان، وحيث يمكن حل لغز حياته، وحيث يجد الهدف النهائي لوجوده وقد تم إنجازه، وهذا الهدف الأخير (الحب)"[5].

[1] -فويرباخ، لودفيغ. أفكار حول الموت والأزلية. ت: نبيل فياض، ص129
[2] فويرباخ، لودفيغ. أطروحات مؤقتة من أجل إصلاح الفلسفة، ت. الياس مرقص، ص194.
[3] - المصدر نفسه، ص194.
[4] - فويرباخ، لودفيغ. جوهر الإيمان بحسب مارتن لوثر. ت: جورج برشين. مكتبة مؤمن قريش، بيروت، ط1، 2017، ص206.
[5] فويرباخ، لودفيغ. ماهية الدين وقضايا أولية لإصلاح الفلسفة ونصوص أخرى، ص397.

الاستنتاجات والتوصيات:

يمكن القول إن كل بحث يمكن أن يفضي إلى جملة من أبحاث جديدة، ذلك أن البحث الفلسفي يطرح الاستفسارات والإشارات والتساؤلات أكثر مما يطرح الحلول فقط للمشكلات التي يعاينها ويناقشها وبحثنا هذا قد يفضي إلى جملة من الأبحاث التي تتعلق بطبيعة البحث التاريخي في مفهوم الإنسان وتطوره ضمن البنى الفكرية والفلسفية، من ذلك مثلا يمكن القول إن ما حدث بعد مرحلة فويرباخ يؤكد على ما نقوله حيث تطور مفهوم الإنسان داخل الفلسفة المادية ليذهب بعيداً أكثر من مجرد الحديث عن الإنسان الحسي العياني بل وبدأ الحديث عن الإنسان التاريخي الذي هو صانع التاريخ كما نجد الأمر عند ماركس وفي المقابل فإن بعض الفلسفات اللاحقة على فويرباخ قد تحدثت عن الإنسان المتجاوز للتاريخ كما نجد ذلك عند نيتشه، وبالتالي فإننا يمكن أن نتتبع تاريخ مفهوم الإنسان عبر الأنساق الفلسفية التي تشكلت في التاريخ الفلسفي الحديث والمعاصر.

المصادر والمراجع:

1. فويرباخ، لودفيغ. مبادئ فلسفة المستقبل. ت: الياس مرقص. دار الحقيقة، بيروت، ط1، 1975.
2. فويرباخ، لودفيغ. اطروحات مؤقتة من أجل إصلاح الفلسفة. ت: الياس مرقص، دار الحقيقة، بيروت، ط1، 1975.
3. فويرباخ، لودفيغ. ماهية الدين وقضايا أولية في إصلاح الفلسفة ونصوص أخرى. ت: أحمد عبد الحليم عطية. القاهرة، دار الثقافة.
4. [1] – شاخت، ريتشارد. رواد الفلسفة الحديثة. ت: أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1997.
5. – رسل، برتراند. حكمة الغرب. ت: فؤاد زكريا. سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد62، 1983.
6. جوزايا، رويس. روح الفلسفة الحديثة. ت: أحمد الأنصاري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 2003.
7. رسل، برتراند. تاريخ الفلسفة الغربية(الفلسفة الحديثة). ت: محمد قدحي الشنيطي، المصرية العامة للكتاب، 1977.
8. سبينوزا، باروخ. علم الأخلاق. ت: جلال الدين سعيد، دار الجنوب، تونس، د.ت، 30.
9. فيخته، جوهان جوتليب. فيخته وغاية الإنسان. ت: فوقية حسين محمود، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 2001، ص129.
10. لينين، فلاديمير. الدفاتر الفلسفية، ت: الياس مرقص، دار الحقيقة، بيروت، ج2، ط2، 1983، ص214.
11. محمود، زكي نجيب، أمين، أحمد. قصة الفلسفة الحديثة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج2، ط5، 1967
12. مسهولي، عبد العزيز. فويرباخ ومشكلة الإنسان. معهد الدراسات الدينية والفلسفية.
13. هيغل. ظاهريات الروح. ت: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، ط3، 2009، ص50.

14. يووي، اندرو. الفلسفة الألمانية(مقدمة قصيرة جداً).ت: محمد عبد الرحمن سلامة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2015.

15. chrity flangan– feddon. To" let religion itself speak;" Feuerbach and religious consciousness in modern culture. Spring .2015.

Works Cited

- Feuerbach, Ludwig. *Principles of the Philosophy of the Future*. Trans. Elias Marcus. Beirut, Dar al- Hakika, 1st ed, 1975.
- Feuerbach, Ludwig. *Repertoire Provisions for the Reform of Philosophy*. Trans. Elias Marcus. Beirut, Dar al-Hakika, 1st ed, 1975.
- Feuerbach, Ludwig. *The Essence of Faith According to Luther*. Trans. George Barshen. Beirut, Moamenquarish Library, 1st ed, 2017.
- Feuerbach, Ludwig. *The Essence of Religion*. Trans. Ahmad abd el-Halim Attaya. Cairo, House of Culture.
- Feuerbach, Ludwig. *Thoughts on Death and Immortality*. Trans. Nabil Fayad. Beirut, Dar Al-Rafidain, 2017.
- Attabi, Haidar, al. "Feuerbach and the Vision of Subjective Religion." *Al- Mothaqaf*, Al-Mothaqaf al- Arabi Foundation.
- Bonte, Pierre, Michel Izard , et al. *Dictionary of Ethnology and Anthropolgy*. Trans. Misbah al- Samad. Beirut, University Institution for Publishing, 1st ed, 2006.
- Dīb, Ḥannā. *Feuerbach and Hegel*. Beirut, Dar al-Amwaj, 1994, pp. 22-23.
- Hegel. *Lectures on the Philosophy of Religion*. *Complete Works*. Trans. Mujahid abdel Mun'im Mjahid. Cairo, Dar El Kalema.
- Hegel. *Selections*. Trans. Elias Marcus, 1st vol, n.p., al-Maktabah al-Falsafiah.
- Marx, Karl. *Economic and Philosophical Manuscripts of 1844*. Trans. Mohamad Mustajir. Cairo, Dar El-Thakafa El-Gedida, 1974.
- Schacht, Richard. *Alienation*. Trans. Kamel Yousef Hussein. N.p., Sharqiyat Publishing House 2nd ed.
- Touchard, Jean. *History of Political Ideas*. Trans. Ali Mekdad. Beirut, El Dar Al Alameya, 1987.